رواية الحرب.. ذكريات تصلح للكتابة

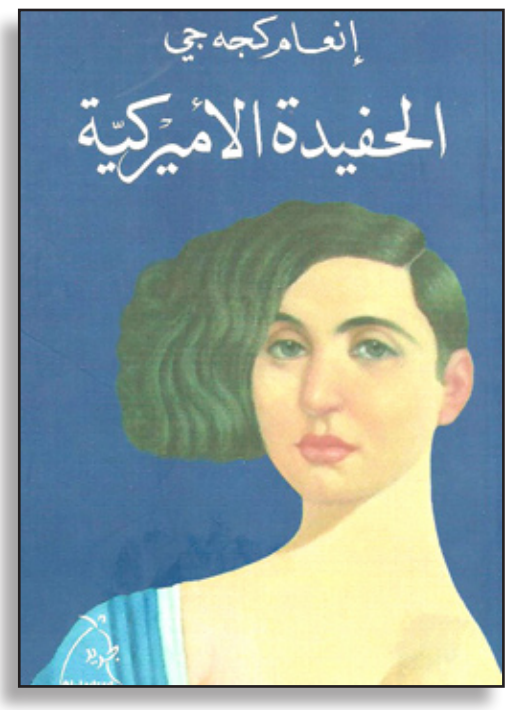

يُعتبر أدب الحرب صنفاً مهماً بكل أشكاله نظراً لتعامله النفسي المباشر مع الحرب وتداعياتها كونها حدثا مرتبطا بالموت الذي يهيمن دائما على الثيمات التي يتناولها الأدب ، تحديدا الرواية فالموت دائما حاضر في الرواية الى جانب مواضيع أخرى مهمة كالحب. فمن "الحرب والسلام" إلى "لمن تقرع الأجراس" و " وداعاً للسلاح " هناك قائمة طويلة بما كُتب وما يزال يُكتب عن الحروب والمعارك. بعض الروائيين لم يكتفوا بالحروب على كوكبنا فوصل بهم الأمر إلى تخيل معارك خيالية كما حصل في روايات كثيرة منها رواية "سيد الخواتم" للكاتب جي آر تولكين على سبيل المثال لا الحصر.

ليلى قصراني

قليلة هي الروايات التي كُتبت عن الحرب العراقية.الإيرانية وعن حرب الخليج ١٩٩١ فما أن توقف إطلاق النار مع ايران وتهيأ العراقي لخلع البزة العسكرية حتى وجد نفسه أمام غزو الكويت الذي أعقبته مباشرةً حرب الخليج الثانية وما خلفته من سنوات حصار وهجرات . هكذا فجائع ساهمت في تغيير حساسية المثقف العراقي للكثير من الأمور، بل غير الحصار البعد المكاني للكاتب فقد تنقل من مكان إلى آخر بعد مروره بظروف معيشية قاسية ما جعل الكتابة أمراً ثانوياً في حياته أمام شروط البقاء ليوم آخر. بعد الغزو الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣ الذي فاقت مآسيه الحربين السابقتين، وجد الكاتب نفسه أمام معارك مباشرة وتجارب شخصية دون أن يتسلمها منقولة من طرف آخر كما حدث في الحربين السابقتين.

أيضا نرى شحة في الروايات المكتوبة بالعربية والإنجليزية التي تناولت الغزو الأمريكي للعراق ولعل سبب هذا يعود الى أن تفاصيل الحرب هذه لا يمكن ترجمتها إلى نص سردي بعمق إنساني إلا بعد مرور بعض الوقت. فالعراقي (والعربي عموما) ما زال تحت وقع صدمة الغزو وما أن يتم تجاوزها سيبدأ بوضع خبرته على الورق ليقدم لنا هذه الحرب بكل تأنٍ بعيداً عن كل التشنجات المتوقعة خصوصا حين يبدأ جيل جديد في توظيف هكذا غزو بدون الخوف من الرقابة أو التابوهات الأخرى التي تعامل معها الكتاب أيام النظام السابق.

الكتابة عن الحرب (بينما المعارك ما تزال قائمة) تعطي انطباعاً ثورياً وعفوياً واضحا ، الأمر الذي يفسد مناخ الرواية ويضعها بشكل أو بآخر خارج خندق الأدب. بينما الروائي الذي يكتب بعد انتهاء الحرب بفترة زمنية معينة يتعامل مع مخلفات الحرب على أنها ذكريات صالحة للكتابة وأن كل ما يتبقى منها هو مادة خام مطبوعة سيوظفها بعد زمن معين في منتج سردي بعيداً عن مؤثرات الظروف الآنية، فالكاتب الذكي هو الذي يكتب عن الحدث بعمق آثاره خارج الشرط الآني بموضوعية متجاوزا الصدمات النفسية والانحياز لطرف ما واللغة الانفعالية التي يمكن أن تتسلل للنص المنتج في لحظة الحدث.

أصدرت هيلين بينديكت في عام ٢٠١١ رواية "ملكة الغبار" Sand Queen

جوزيف هيلير

التي تدور أحداثها عن مجندة أمريكية شابة من ولاية نيويورك تلتحق بالجيش الأمريكي لتنتهي في معسكر في العراق وهناك تواجه معركة اخرى مع عالم الرجال الفتاك. تتعرف البطلة على نعيمة جاسم، ابنة طبيب عراقي، والتي صارت نوعا من العزاء للبطلة في الصحراء كونها شاركتها بعض مشاكلها الخاصة. بشكل عام، هذه الرواية تقدم مأساة المرأة في بيئة الحرب بدون أن تتناول موضوعة الحرب بكل تفاصيلها المأساوية. كما أصدرت أنعام كجة جي ، صحفية وكاتبة عراقية مقيمة في باريس ، رواية الحرب بعنوان "الحفيدة الأمريكية" عام ٢٠٠٩ وهي رواية متعجلة في أحداثها بل سريعة في سردها وكأن الكاتبة قد أنجزتها في فترة قصيرة نسبيا. هذه الرواية بالذات كان من الممكن أن تكون من أجمل الروايات لو تأنت الكاتبة كجة جي في كتابتها وركزت على بعض الجماليات في الرواية التي .للأسف. مرت بها بعجالة . تضمنت "الحفيدة الأمريكية" الكثير من الأخطاء الفادحة التي كان من الممكن تجنبها وفيها الكثير من الفجوات والقفزات التي تترك القارئ في حيرة من أمره.

من أشهر روايات الحرب التي يتذكرها القارئ اليوم هي تلك التي تمت كتابتها ونشرها بعد انتهاء الحرب بأعوام عديدة ، مثل رواية الكاتب الأمريكي جوزيف هيلير Catch -٢٢ "خديعة -٢٢". يسخر هيلير في هذه الرواية من فكرة التضحية بالنفس والموت من أجل الوطن. نشرت هذه الرواية سنة ١٩٦١ وتدور

هيلين بينديكت

أحداثها في جزيرة ايطالية في البحر الأبيض المتوسط عن عسكري في الجيش الأمريكي يقاتل بمدفعية من طائرة مقاتلة أثناء الحرب العالمية الثانية . يوساريان، بطل الرواية يقول عن نفسه بأنه "أشوري الأصل" وكل همّه هو الإعفاء من الخدمة العسكرية بسبب مخاوفه من أن يُقتل فيدّعي الجنون لكنه في النهاية يهرب إلى السويد وتنتهي الرواية بأن ليس هناك مفر من الخدمة العسكرية وتلك هي خديعة-٢٢ (وهذا مصطلح قد قدمه جوزيف هيلير في روايته ليصبح من المصطلحات المتداولة اليوم في الحياة اليومية في الولايات المتحدة الأمريكية وأترجمه هنا بـ "استحالة المقدرة على الخيار بين حلين كلاهما عسيرين!" وقد صنفت هذه الرواية ضمن أفضل مائة رواية في القرن الماضي.

بعد نهاية الحرب الفيتنامية بسنين عديدة ، كتب تيم أوبراين مجموعته القصصية التي تضمنت قصصا ارتبطت الواحدة بالأخرى حتى بدت وكأنها حكاية واحدة بعنوان "الأشياء التي حملوها" The Things They Carried . نشر هذا الكتاب سنة ١٩٩٠ وتناول أوبراين فيه الأشياء التي حملها الجندي الأمريكي معه من أسلحة ومعلبات ورسائل وصور أثناء تواجده رغماً عنه في فيتنام .

والآن وقد انسحب الجيش الأمريكي من العراق، نأمل بظهور روايات عن هذه الحرب التي صارت جزءا من التاريخ وقد تصل هذه الروايات الى مستوى رواية هيلير أو لا ولكن على الأقل سيبقى القارئ يتذكرها بعد سنوات طويلة.

منطقة محررة

نجم والي

عندما يجلس الشاعر على الكرسي النازي

من يجرؤ على تقديم نفسه بصفته شاعرا أو كاتبا، سيحصل من الجلاد، فقط على سياط إضافية، تعذيب مضاف، المهم أن ينسى السجين ما يكونه، أن ينسى السبب الذي دخل من أجله، ولأن الأمر يتعلق بسجناء رأي، بعضهم، كتّاب، شعراء، فأن السلطة هذه تفعل كل ما في وسعها لكي تجعلهم يعتادون على ألقاب يمنحها الجلادون لهم، في النهاية – حسب فلسفة الديكتاتور – الأمر له علاقة بمدة السجن، وسيعرف كل واحد من هؤلاء السجناء: أنه ليس الشاعر فرج بيرقدار، وليس المفكر ميشيل كيلو، وليس الكاتب عارف دليلة، أن يعرفوا أنهم شخصيات لا علاقة لهويتهم بما يحملونه من مضمون، لا علاقة لهويتهم بما يفكرون به، أن يعرفوا، أن هوية كل واحد منهم يحددها أمر خارجي فقط: البيجامة الكحلية، القميص البيج، الكنزة الرمادية، أسود الكلب، رأس الجحش، أبو رقبة..ألخ، لكن المفارقة، أن السجّان وهو يفعل ذلك، لا يدري، انه هو الآخر يتحول في عين سجينه إلى لقب وشكل ولباس: السجناء يمنحون السجين أيضاً ألقاباً، لكن الفارق، أنها ألقاب غير حيادية: ذو الحذاء الصغير الأسود اللامع (ليس سيئاً، كما يعلق الكاتب)، ذو الجزمة السميكة (بلا شك يتدرب الكاراتيه ويطبق تمارينه علينا)..الخ.

في ٣١ مارس ١٩٨٧ أعتقل فرج بيرقدار من قبل المخابرات السورية بتهمة الانتماء إلى حزب سري، وظل قرابة ست سنوات مقطوعاً عن العالم الخارجي، وفي ١٩٩٣ قدم مرافعة أمام محكمة أمن الدولة العليا، ويبدو أن ترجمة المرافعة ونشرها وإذاعتها لفتت انتباه العديد من الشخصيات والمنظمات العالمية إلى أن صاحب المرافعة ليس معتقل رأي وحسب، بل شاعر وصحفي، ساهم نشر مجموعته الشعرية حمامة مطلقة الجناحين (١٩٩٧) وترجمتها للفرنسية وحصولها على جائزة هلمان / هامت ١٩٩٨، وجائزة نادي القلم الأميركي (١٩٩٩)، بتصعيد الحملة الدولية للإفراج عنه، فرج بيرقدار يعيش اليوم لاجئاً في السويد، ليكتب كتابه "خيانات اللغة والصمت، تغريبتي في سجون المخابرات السورية" الذي صدر عن دار الجديد في لبنان عام ٢٠٠٦.

على مدى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط، يأخذنا فرج بيرقدار، الشاعر والصحافي السوري المولود في مدينة حمص عام ١٩٥١، معه في رحلة السجن التي دامت أكثر من اثنتي عشرة سنة، من الصعب لمن يبدأ قراءة الصفحة الأولى من الكتاب، أن يُلقي به بعيداً، ليس لأن فرج، عرف، كيف يروي قصة تغريبته في أكثر السجون العربية رعباً ودموية، سجون المخابرات السورية، التي ربما لم ينافسها في وحشيتها "عربياً"، إلا سجون سلطة صدام حسين ربما، بل لأن من يقرأ هذه الوحشية بالذات على شكل كلمات، سيتابع ما يقرأه بإيقاع متلاحق، وبأنفاس متقطعة، يريد أن يعرف، كيف يُمكن لإنسان "شاعر" و"رقيق"، عمله الكلمات، كيف يمكن لإنسان مثله، أن ينجو أخيراً من كماشة الوحش "البعثي"، ليس ذلك وحسب، بل يكتب كتاباً بهذا الحجم، يتحدث بلغة تقترب من الشعر، لا يصف حالات الرعب، حفلات التعذيب، وحسب، بل يروي قصصاً أخرى، قصصاً لا تخلو من مفارقة وطرافة، قصصاً يلجأ لها السجناء، لكي تبدو حياتهم "طبيعية"، وكأنهم يسيرون على خطى بيتر فايس، يخترعون "جماليات المقاومة" الخاص بهم.

يتبع

هناء عبد اللّه في الخميس الإبداعي

تجليات أميرة الرقص الفلكلوري العراقي

محمود النمر

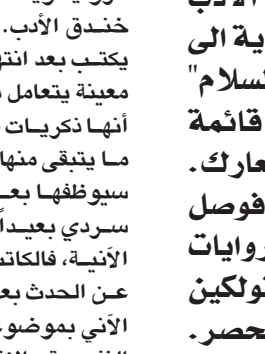

احتفى ملتقى الخميس الإبداعي في الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين بالفنانة المتألقة هناء عبد الله، في إطار استعادة تاريخ فني متواصل في فن الرقص الفلكلوري الذي امتد على مدى أربعة عقود.

قدّم الجلسة الناقد السينمائي كاظم مرشد السلّوم، مشيرا إلى قيمة الرقص الفلكلوري عند الشعوب المتمدنة التي تبحث عن الجمال والحب الذي يثير في الرقصات الإيحائية والتعبيرية إلى الحزن السامي للشجن أو يمنح الحضور سرب فراشات يتزينّ بألوان تشبه أرواحهن الحالمات .

وتحدثت الفنانة هناء عبد الله عن بداياتها في فن الرقص وهي تسترجع كيف انتمت إلى فرقة الرشيد للفنون الشعبية عندما تأسست في عام ١٩٦٤ التي أسسها الفنان الكبير حقي الشبلي ، وكيف كانت تؤدي الرقص وهي في عمر سبع سنوات في الحفلات التي تقام في المحلة ، وكانت تؤدي الرقصات الشعبية وخاصة الرقص الشرقي ، وفي هذا السن المبكر الذي دفعها إلى هذا العالم المليء بالفضول، وعندما أصبحت في سن الثانية عشرة اتصلت بأحد أعضاء فرقة الرشيد للفنون الشعبية الذي كان يجاورهم وبعد تدخلات وممانعات كثيرة من قبل أهلها وتدخل الأستاذ حقي الشبلي مع العائلة تم إقناع الجميع على الانضمام إلى الفرقة بعدما خضعت إلى الاختبار من قبل الفنان الكبير سالم حسين والمدرب السوري عدنان ميمي وغانم حداد أستاذ الموسيقى، وعند نجاحها في الاختبار خضعت للتدريب من قبل سلمان محمد وهو أيضا كان راقصاً في الفرقة .

وأضافت هناء عبد الله : كنت استغرب الجو لصغر سني وعندما اخضع للتدريب وتعليم الحركات كنت لا أحب أن يلمسني المدرب لتعليمي الحركة الإيمائية المعبرة ، وكان من ضمن الفرقة الفنانة الراحلة مي جمال وكان من ضمن الذين يشرف على تدريبنا الفنان سامي عبد الحميد برقصة "بائعة اللبن". وأشادت الفنانة هناء بالمدرب السوري "عدنان ميمي" الذي كان اختصاصه (فلكلور أندلسي) وكانت أكثر الرقصات التي تؤديها لحبها لهذا الفن من الرقص وهي أصيلة ، وتذكرت مدير الفرقة الفنان عبد الله العزاوي والكادر الموسيقي الذين كانوا فنانين كبارا ومطربين كبارا منهم سعدي الحلي وعبد الزهرة مناتي وحسين عبد الله وجبار عكار .

واسترسلت هناء بذكرياتها عندما جاءت الفنانة والمدربة الروسية – قمر خانم – وكيف انتخبت مجموعة من الراقصين والراقصات منهم – ريتا جون – وناهدة علي – وسلمان محمد – وحسن سعدون، وبعد انضمام مجموعة جديدة إلى الفرقة القومية للفنون الشعبية التي استبدلت بهذا الاسم الجديد .

وقد بدأت من الصفر بتمرينات صعبة منها الآلية وتهيئة الأجسام وتدريب باليه، وقد كانت قمر خانم فنانة قديرة ومبدعة علمتنا ما قيمة هذا الفن الرفيع ،وهي كانت من جمهورية – أذربيجان – وقد قدمنا أعمالا كثيرة منها – عنتر وعبلة – ورقصة الهجع – والدحه البدوية – كانت هناك نجاحات باهرة لفرقتنا في جميع أنحاء العالم .

ودعت الفنانة هناء عبد الله الى إقامة تمثال نصفي لها تقديرا لتفانيها في هذا الفن الرفيع التي آثرت أن تضحي من اجل تحيا الفرقة القومية للفنون الشعبية ، وكان هذا التكريم الذي أعلنه د. شفيق المهدي مدير عام السينما والمسرح بعد عودتها من مهرجان الفنون الشعبية المقام في السويد.

اشترك في الحديث عن الفنانة المحتفى بها ، الأمين العام الشاعر ألفريد سمعان الذي كرمها بلوح الإبداع والقاص شوقي كريم والتشكيلي حسن عبد الحميد وباقة ورد من إياد الهيتي رئيس منتدى هيت الثقافي وباقة ورد من صباح محسن عضو الملتقى.

بابل مقلوبة

أحمد عبد الحسين

١

أضعُ بداهاتي قدّامكَ إلى أن يسكنَ الرعدُ
إلى أن ترفعَ البوقَ من فمِكَ وتصرخُ في الشعب:
أما قرأتم قطُ في الكتب؟
أما رأيتم الغريبَ مربوطاً بالذهبِ إلى خيامِ آبائكم
فسلطتم عليه الكتبةَ ليرتعدَ؟
إكتنفتم يديه بجيوشٍ ومجانيقَ
صيّرتم أكتافه مأكلاً للضبابِ
وكلما استيقظ من نومِه وفركَ عينيه
رعاةٌ نوامونَ منكم أعادوا عليه النعاسَ

فالآنَ أقولُ لكم:
قبّلوا هذا الطفلَ النائم لئلا يغضب
قبلوه لئلا يحلَّ الظلامُ.

٢

وأكاد أتكلمُ لولا لساني
أكادُ في ظلّ أسيادك المقموعينَ أوثقك
وأسقيكِ من المنفى الذي أسقيتِني إياهُ
يا خاشعةُ
يا سكرانة

يا بيتاً يطرده الأخ الأكبرُ بلا حقائبَ
يا بابلَ أُوحيَ إليها أنْ تمخّضي وإلا نفضتكِ
تمخّضي لأنك الجيشُ المنهزمُ
بوق بعثرك وطافَ بك في البلدانِ
شرطيٌّ يشتكي العطشَ أماتكِ وأحياك
ثم أماتكِ وأحياك
ثم أماتَكِ وأحياكِ إلى أن حبلتِ وأنتِ العذراءُ
استيقظ أبناؤك وتاهوا
وتهشمتْ أسنانُهم من الضحك.

٣

ومالي لا أضحكُ؟
أضحكُ لهذه الصنائعِ الشاقّة:
أضحك لنافخِ البوقِ تحتَ خرائبِ بابلَ،
أضحكُ للغيم الأبيضِ يتوّجُ قلبَ ميديا بلا سبب،
أضحك لصبيةٍ لم يقلْ لهم أحدٌ أنهم شيعةٌ لكنهم تنبأوا بذلك،
أضحكُ لمعدان يحرثون أكتافَ نسائهم حزناً على ثأرٍ لم يبلغوه،
أضحكُ لمندائيينَ يخرجون من خيمة الاجتماعِ وعلى أيديهم دمٌ لا يعرفون لمَنْ،
أضحكُ لانكشاريةٍ يربطون خيولهم إلى رأسِ الملكِ كوديا،
أضحكُ لكلدانَ لم يجدوا ما يتصدقون به، ملأوا آبارهم خلاً وتفرّقوا في الأقطار،
أضحكُ لعشائرَ أوقفتها خطيئتُها في ظلِّ شرطي يتثائبُ،
أضحكُ على ناصر الأشقر
على قلائده المصكوكة من أسنان العبيد،
أضحكُ
وأعرف أن شعباً أحدبَ سوف يتسلّلُ اليَّ
في هذه الساعةِ
ليشاركني البكاء.